خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ 2026/8/7

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

كنتُ قد ذكرتُ في الخطبة قبل الجلسة معاييرَ شكر رسول الله ﷺ في أعماله وأقواله ونصائحه. سأتحدث اليوم أيضًا حول الموضوع نفسه. لقد أرشد ﷺ إلى شكر الله تعالى، حتى على أصغر الأمور، فقد ورد في رواية عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا".

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْبَيْتَ، فَرَأَى كِسْرَةً مُلْقَاةً، فَأَخَذَهَا فَمَسَحَهَا، ثُمَّ أَكَلَهَا، وَقَالَ: "يَاعَائِشَةُ أَكْرِمِي كَرِيمًا، فَإِنَّهَا مَا نَفَرَتْ عَنْ قَوْمٍ قَطُّ، فَعَادَتْ إِلَيْهِمْ".

هذا كان دأبه. فكان يشكر الله تعالى على أصغر الأمور، وعلى نعمه، كما كان يوصي أهل بيته بذلك أيضًا.

فإذا كنا نرغب في الحصول على البركة في الرزق، فعلينا أن نشكر الله تعالى على كل نعمة من نعمه.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ عمه يَوْمَ الْفَتْحِ، وَكَانَ جَائِعًا... فَقَالَ: "هَلْ عِنْدَكِ مِنْ طَعَامٍ نَأْكُلُهُ؟". فَقَالَتْ: لَيْسَ عِنْدِي إِلَّا كِسَرٌ يَابِسَةٌ، وَإِنِّي لَأَسْتَحِي أَنْ أُقَدِّمَهَا إِلَيْكَ، فَقَالَ: "هَلُمِّي بِهِنَّ"، فَكَسَّرَهُنَّ فِي مَاءٍ، وَجَاءَتْ بِمِلْحٍ، فَقَالَ: "هَلْ مِنْ إِدَامٍ؟". فَقَالَتْ: مَا عِنْدِي يَارَسُولَ اللهِ إِلَّا شَيْءٌ مِنْ خَلٍّ. فَقَالَ: "هَلُمِّيهِ"، فَصَبَّهُ عَلَى طَعَامِه، فَأَكَلَ مِنْهُ ثُمَّ حَمِدَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ قَالَ: "نِعْمَ الْإِدَامُ الْخَلُّ، يَاأُمَّ هَانِئٍ لَا يُقْفَرُ بَيْتٌ فِيهِ خَلٌّ".

تلك إذن كانت معايير الشكر والامتنان للنبي ﷺ. إننا نعيش في هذه البلاد وننعم بنعمٍ لا حصر لها، ومع ذلك نقصّر في أداء حق الشكر لله تعالى كما ينبغي؛ بل -في أحيان كثيرة- ينشأ لدينا التذمر لأسباب تافهة، كالتذمر من أهل البيت لعدم إحضارهم هذا وذاك. وقد قدّم حضرة المصلح موعود رضي الله عنه مقارنةً بليغة ومؤثرة بين موقف الجاحدين وبين ما أظهره الصحابة من شكر وامتنان، حيث يقول:

إذا كان على أجسامكم ثوب ممزق فإنكم تبكون وتقولون: ما أتعس حظنا لأنه ليس لنا إلا ثوب ممزق نلبسه. أما الصحابة ﷺ، فإذا تلقّوا ثوبًا ممزقًا انحنت رؤوسهم لله تعالى، وترطبت ألسنتهم بذكر هذه النعمة، وقالوا: ما أطيب هذا الثوب الذي أعطانا إياه ربنا. وإذا تلقّوا بعد أربعة أيام من الفاقة قطعة من خبز يابس، تلألأت عيونهم فرحًا وقالوا: الحمد لله، لقد أنعم الله علينا بنعمته. ولهذا السبب، لا ينفعكم اليوم الرز المالح واللحم ما نفعتهم قطع الخبز اليابس حينها. من يُعطى منكم الرز المالح اليوم يأكله وهو يتحسر في قلبه ويقول ياليت كان معه الرز الحلو أيضا. ومن يُعطى الرز المالح والحلو معًا يأكلهما وهو يقول متحسرًا: ماذا أفعل بهما إذ ليس معهما الحلوى. ومن يُعطى العدس يبكي على اللحم، ومن يُعطى اللحم يتلهف على الأرز، ومن يُعطى أربع أرغفة يتذمر أيضا، (وهكذا ذكر حضرته تفصيلا لهذه الأمور ثم ذكر حالة الصحابة فقال:)

إذا تلقى الصحابة قطعة من خبز يابس قالوا: نحن لم نكن نستحق حتى هذه القطعة، وهذا فضل من الله أن منَّ علينا بها. فكانت النتيجة أن ذلك الخبز اليابس يغذي أجسامهم، ويولد فيهم علو الهمة، ويزيد في عاطفة شكرهم لله تعالى.

وفي يوم فتح مكة، اليوم الذي انتهى فيه حكم العرب، ودخل رسول الله ﷺ مكة مع عشرة آلاف من القديسين، وجاء النبيَّ ﷺ صناديدُ مكة –الذين قضوا حياتهم في عداوة الإسلام– خاضعين الأعناق، فأعلن أمامهم: اذهبوا، فأنتم الطلقاء. ثم ذهب إلى أم هانئ (لقد كُتب هنا سهوًا من الناسخ أنه ﷺ ذهب إلى عمته أو لعل حضرة المصلح الموعود ذكر ذلك سهوا منه. على أية حال، ذهب ﷺ إلى أم هانئ وهي بنت عمه كما ذكر) فقال: "يا أم هانى، هل عندك شيء نأكله؟". قالت: لو كان عندي شيء لقدمته لك مسبقًا، فليس في بيتي إلا رغيف يابس ملقى منذ أيام. فقال: "أحضري ذلك الرغيف". فلما أحضرتْ الرغيف اليابس قال: "هذا رغيف طيب جدًّا، وعبثًا كنتِ تحزنين على أنه ليس في بيتك شيء للأكل". ثم جاءت بالماء، فغَمسَ الرغيفَ في الماء. ثم قال: "هل عندكِ إدام؟". قالت: من أين يكون في بيتي الإدام ولم يكن فيه حتى الخبز؟ ولو كان موجودًا لجئت به أولاً، فليس في البيت إلا قليل من الخل. فقال رسول الله ﷺ: "وهل هناك إدام أفضل من الخل؟ أحضريه".. فجاءت بالخلّ، فبلّله بالخل وبدأ يأكله.

لقد اعتبر رسول الله ﷺ الخل نعمة من الله، وأكل الرغيف اليابس شاكرًا فضله.

الحقيقة أن نظام الهضم لدى الإنسان يتنشط جراء البهجة التي تتولد في القلب. فإذا أُكل شيءٌ عادي بفرح وبشاشة فإنه يولد قوة عظيمة، أما إذا أُكل أفضل الأشياء بحزن فلا يولد في الإنسان أي قوة.

يظن الناس أن ما أعطي لهم قليلٌ إذ كان ينبغي أن يتلقوا أشياء كثيرة. أما الصحابة فكانوا يظنون في كل شيء أنهم تلقوا أكثر مما يستحقونه وكان ينبغي أن يعطى لهم أقل. وكان هذا دأب شكرهم أنهم إذا تلقوا شيئا قليلا قالوا إنه لكثير جدًّا. ولذلك كان الرغيف الواحد ينفعهم بما لا تنفعكم عشرة أرغفة.

ثم قال حضرته: وذلك لأن بعضكم لم يذق بعد حلاوة الإيمان. وقلوبكم غافلة تمامًا عن الحقيقة أن الله خلقكم لعمل روحاني عظيم. ومن خلقه الله للانقلاب والتغيير الروحي، فإن أعظم ملوك الدنيا لا يساوي شيئًا أمامه. ولكن بدلا من أن تدركوا مقامكم وتشعروا بواجباتكم حق الشعور، تتوجهون إلى أمور حقيرة ذليلة وصغيرة وتقولون: لم يُعطَ لي هذا، ولم يُعطَ لي ذاك. فما الذي ستنجزونه إن لم ينشأ فيكم الشعور بما خلقكم الله لأجله، وإن لم تعرفوا مكانتكم. لقد وضعكم الله في مقام يجب أن يكون قلبكم مملوءًا دائمًا فيه بموجات الفرح، وأن تظهر فيكم اليقظة والانتباه دائمًا. إذا نشأت هذه الحالة فيكم، فإن أقل طعام يكفيكم للعمل فورًا.

فهذه هي الوصفة التي ينبغي أن يستخدمها عمومًا كل الأحمديين الذين إمكانياتهم محدودة، ولاسيما الواقفين للحياة منهم، لرفع مستوى شكرهم وامتنانهم. وهناك حاجة ماسة إلى ذلك، وكذلك هناك حاجة إلى غرس هذا الشعور بأقصى قدر ممكن في أزواجهم وأولادهم، لأن الغرض الذي وقف الواقفون أنفسهم من أجله غرض عظيم جدًّا، ولتحقيق الغرض العظيم يجب أن تكون أمامهم نماذج لمن حققوا أغراضًا عظيمة، وأن يسعوا جاهدين للعمل بها، وبعد ذلك يمكن تحقيق ذلك الهدف العظيم.

كيف كان رسول الله ﷺ يخدم أصحابه ويشكر لهم، وكم كان يغمرهم بالدعوات؟ ورد ذلك في رواية عَنْ أَبِي قَتَادَةَ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: "إِنَّكُمْ تَسِيرُونَ عَشِيَّتَكُمْ وَلَيْلَتَكُمْ، وَتَأْتُونَ الْمَاءَ إِنْ شَاءَ اللهُ غَدًا"، (حيث كانوا على سفر ما) فَانْطَلَقَ النَّاسُ لَا يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، قَالَ أَبُو قَتَادَةَ: فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسِيرُ حَتَّى ابْهَارَّ اللَّيْلُ[1]، وَأَنَا إِلَى جَنْبِهِ، قَالَ: فَنَعَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَمَالَ عَنْ رَاحِلَتِهِ، فَأَتَيْتُهُ فَدَعَمْتُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أُوقِظَهُ حَتَّى اعْتَدَلَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، قَالَ: ثُمَّ سَارَ حَتَّى تَهَوَّرَ اللَّيْلُ[2]، مَالَ عَنْ رَاحِلَتِهِ، قَالَ: فَدَعَمْتُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أُوقِظَهُ حَتَّى اعْتَدَلَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، قَالَ: ثُمَّ سَارَ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ السَّحَرِ[3]، مَالَ مَيْلَةً هِيَ أَشَدُّ مِنَ الْمَيْلَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ، حَتَّى كَادَ يَنْجَفِلُ[4]، فَأَتَيْتُهُ فَدَعَمْتُهُ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: "مَنْ هٰذَا؟". قُلْتُ: أَبُو قَتَادَةَ، قَالَ: "مَتَى كَانَ هَذَا مَسِيرَكَ مِنِّي؟". قُلْتُ: مَا زَالَ هَذَا مَسِيرِي مُنْذُ اللَّيْلَةِ، قَالَ: "حَفِظَكَ اللهُ بِمَا حَفِظْتَ بِهِ نَبِيَّهُ".

فقد أظهر ﷺ شكره العميق له.

وما هي الأسوة التي قدّمها النبي ﷺ لنا لمعايير شكره؟ فقد ورد في رواية عن أَبِي أُمَامَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا، فَقُلْتُ: لَا يَا رَبِّ، وَلَكِنْ أَجُوعُ يَوْمًا، وَأَشْبَعُ يَوْمًا، فَإِذَا شَبِعْتُ حَمِدْتُكَ، وَشَكَرْتُكَ، وَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَدَعَوْتُكَ".

---

[1] ابهار الليل : انتصف.
[2] تهور الليل : ذهب أكثره.
[3] السحر : الثلث الأخير من الليل.
[4] ينجفل : يسقط.

عَنِ عبد الله بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا شَرِبَ تَنَفَّسَ عَلَى الْإِنَاءِ ثَلَاثَةَ أَنْفَاسٍ، (أي لم يكن يشرب الإناء كله في نفس واحد، بل كان يشربه في ثلاثة أنفاس) يَحْمَدُ اللهَ عَلَى كُلِّ نَفَسٍ، وَيَشْكُرُهُ عِنْدَ آخِرِهِنَّ.

فكما قال ﷺ إنه، حتى لو أخذتم رشفةً من الماء فاشكروا الله عليها واحمدوه. فهذه هي طريقة شرب الماء مع الشكر والامتنان، وهي ضرورية للصحة أيضًا، إذ ينبغي الشرب ببطء مع التوقف بين الرشفات بدلًا من شربه دفعةً واحدة.

هناك رواية طويلة لأبي هريرة في البخاري يقول:

آللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الجُوعِ، (وهذا لم يحدث يومًا بل كان يحدث معه منذ أيام عدة) وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ (وهي كانت عن رعاية المساكين الجوعانين الذين لا يسألون الناس)، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ، فَسَأَلْتُهُ ... فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي النبي ﷺ، فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي، وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي، ثُمَّ قَالَ: "يَا أَبَا هِرٍّ!". قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "الحَقْ". وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ، فَدَخَلَ، فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلَ، فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ، فسأل أهله: "مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟". قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلاَنٌ أَوْ فُلاَنَةُ، قَالَ: "أَبَا هِرٍّ!". قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "الحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي". (وَأَهْلُ الصُّفَّةِ هم الذين كانوا يظلون جياعًا في أغلب الأحيان، ويجلسون في الخارج طوال الوقت. وكان الناس يأخذونهم إلى بيوتهم ويطعمونهم. على كل حال، دعاهم النبي ﷺ) قَالَ: فَسَاءَنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ، كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، فَإِذَا جَاءَ أَمَرَنِي، فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ بُدٌّ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ البَيْتِ، قَالَ: "يَا أَبَا هِرٍّ!". قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "خُذْ فَأَعْطِهِمْ". قَالَ: فَأَخَذْتُ القَدَحَ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ (الثاني والثالث وهكذا دواليك) ...حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ رَوِيَ القَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ القَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ، فَقَالَ: "أَبَا هِرّ!". قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ". قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "اقْعُدْ فَاشْرَبْ". فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: "اشْرَبْ". فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: "اشْرَبْ"، حَتَّى قُلْتُ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا، (أي امتلأ بطني كاملا) قَالَ: "فَأَرِنِي!". فَأَعْطَيْتُهُ القَدَحَ، فَحَمِدَ اللهَ وَسَمَّى وَشَرِبَ الفَضْلَةَ.

فهكذا كانت عاطفة شكره وامتنانه، وبسبب هذا الشكر بارك الله تعالى بركةً عظيمة في اللبن بحيث شرب جميع الصحابة الموجودين هناك وارتوى منه هو أيضا ﷺ.

عن السيدة عائشة قالت قال النبي ﷺ: "من أُحسِن إليه وجب عليه أن يجزي على ذلك ومن لم يطق فعليه أن يذكر ذلك الإحسان أمام الناس، لأن الذي يذكره فقد شكره. أما الذي يزعم نفسه عظيما بتكلف وهو لا يحظى بعظمة، فمثله كمن لبس ثوبين من الكذب". أي هو كاذب من قمة رأسه إلى أخمص قدميه.

وفي رواية أَنَّ خَالَهُ ﷺ، وَهُوَ الْأَسْوَدُ بْنُ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ، اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "يَا خَالِي ادْخُلْ". فَدَخَلَ، فَبَسَطَ لَهُ ﷺ رِدَاءَهُ، وَقَالَ: "اجْلِسْ عَلَيْهِ، إِنَّ الْخَالَ وَالِدٌ. يَا خَالُ، مَنْ أُسْدِيَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَلَمْ يَشْكُرْ فَلْيَذْكُرْهُ (على الأقل)، فَإِنَّهُ إِذَا ذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ". (السيرة الحلبية)

وجانب الشكر هذا يتجلى في سيرة النبي ﷺ، فهناك أحداث كثيرة في حياته نرى فيها كيف ذكر ﷺ دوما مَن أحسن إليه. فمثلا زوجته الكريمة حضرة خديجة التي عرفت قدره حق قدره وأحسنتْ إليه في كل خطوة، كانت سيدة ثرية من مكة، حين تزوجتْه ﷺ جمعت كل أموالها على قدمي النبي ﷺ لينفقها كيف يشاء.

وبعد إعلان النبوة وقفتْ بجانبه في كل مصيبة ومعاناة بمنتهى الإخلاص والولاء، حتى توفيتْ في العام العاشر من النبوة، وذكر النبي ﷺ منن زوجته الوفية هذه إلى آخر لحظة من حياته، وظل يذكر حسناتها دوما، وكان يكثر ذكرها لدرجة كانت الأزواج المطهرات يغرن منها.

فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ قَالَتْ فَغِرْتُ يَوْمًا فَقُلْتُ مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ[5] قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا. قَالَ ﷺ: "مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ". (مسند أحمد)

فقد ذكر خدماتها طول الحياة، وأعرب عن شكره لها دوما.

كذلك كان ﷺ يشكر كثيرا أصحابه الذين نصروه بأي طريقة، فذات يوم نشأ خلاف بين سيدنا عمر وسيدنا أبي بكر رضي الله عنهما، فلما بلغ النبيَّ ﷺ خبرُ ذلك ذكَّر الصحابة منن سيدنا أبي بكر العظيمة، ونصحهم بألا يؤذوه.

فلما جاءا النبيَّ ﷺ كلاهما بقضيتهما قال أبو بكر ﷺ أنا اعتديت على عمر وأطلب العفو عن ذلك، وقال عمر ﷺ بل أنا اعتديت عليه وأطلب العفو عن ذلك، ولم يُلقِ النبي ﷺ البال لكلام عمر ﷺ بل أبدى له عدم الرضى على جداله مع حضرة أبي بكر، ثم قال ﷺ: "يا أبا بكر سترك الله وعفا عنك".

ثم ندم حضرة عمر وزار أبا بكر ﷺ في بيته.

---

[5] حمراء الشدق : أي عجوز كبيرة جداً حتى قد سقطت أسنانها من الكبر ولم يبقى لشدقها بياض شيء من الأسنان إنما بقى فيها حمرة لثاتها.

فحين كانا جالسَين مع النبي ﷺ قال حضرته ﷺ: "أيها الناس إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي"، قال ذلك مَرَّتَيْنِ. فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا، وكان دوما يتلقى العناية.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: "إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ (من نعمة) فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ"، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ، فتعجبنا من بكائه، مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ إِنْ يَكُنْ اللَّهُ خَيَّرَ عَبْدًا، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ ذلك الْعَبْدَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بذلك ولذلك بكى. قال النبي ﷺ: "إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ".

فكان سبب بكاء أبي بكر ﷺ أن قد خطر بباله إثر سماع هذا الحديث أن الله ﷻ يريد أن يستعيد النبي ﷺ إليه.

حين مورست على مسلمي مكة أنواعُ المظالم هاجروا بإذن من الله إلى الحبشة، فقدَّم لهم ملك الحبشة اللجوء في بلاده، وتذكَّر النبي ﷺ دوما منة الملك النجاشي وأعرب عن عواطف شكره على تلك المنة بأقواله وأفعاله، فحين حضر وفد النجاشي إلى النبي ﷺ قام لاستقبالهم، فقال أصحابه: نحن نكفيك، فقال: "إنهم كانوا لأصحابنا مُكرمين، وإني أحب أن أكافئهم."

وحين توفي النجاشي صلى عليه النبي ﷺ جنازة الغائب بعاطفة الشكر، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَعَى النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ خَرَجَ إِلَى الْمُصَلَّى فَصَفَّ بِهِمْ وَكَبَّرَ أَرْبَعًا.

نجد إظهار شكره ﷺ على أعمال الأنصار كالتالي: في السنة الثالثة عشرة من بعثة رسول الله ﷺ، بايع على يده سبعون رجلاً من المدينة قبل الهجرة، وعاهدوه على أن يحموه بأنفسهم كما يحمون أنفسهم إذا قدم المدينة. فقال أحد الصحابة الأنصار في ذلك المقام: يا رسول الله، إن لنا علاقات قديمة مع يهود المدينة، فإذا نصرناك انقطعت تلك العلاقات. فنخشى أن يعطيك الله النصر فتتركنا وترجع إلى مكة. فقال رسول الله ﷺ: "لا، لا. لن يكون ذلك أبدًا. دمكم دمي، وأصدقاؤكم أصدقائي، وأعداؤكم أعدائي".

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ الخَلاَءَ، فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا قَالَ: "مَنْ وَضَعَ هَذَا". فَأُخْبِرَ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ". فكان يشكر حتى على عمل بسيط.

في رواية أن النبي ﷺ تزوج السيدة صفية رضي الله عنها في الطريق بعد غزوة خيبر، فحرسه ليلة العرس حضرة أبو أيوب خالد بن زيد طول الليل على باب الخيمة، فلما استيقظ النبي صباحا ورآه مَكَانَهُ قَالَ: "مَا لَك يَا أَبَا أَيّوب؟". قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ خِفْتُ عَلَيْك مِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ إذ قَدْ قَتَلتَ أَبَاهَا وَزَوْجَهَا وَقَوْمَهَا وَهِي حَدِيثَة عهد بالإسلام، فَخِفْتهَا عَلَيْك. يقول الراوي أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ نظرا لإخلاصه،: "اللّهُمّ احْفَظْ أَبَا أَيّوبَ كَمَا بَاتَ يَحْفَظُنِي".

كان المطعم بن عدي هو من مزق الصحيفة الغاشمة لقريش، وأدخل النبي ﷺ في جواره بعد عودته من الطائف في مكة، فلما جاء أسرى بدر أمامه ﷺ ذكر أيادي مطعم. ففي رواية عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ حضرة جبير بن المطعم رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ: "لَوْ كَانَ المطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ".

لقد أورد حضرة مرزا بشير أحمد رضي الله عنه أيضا هذا الحدث وقال كان المطعم مشركا قويا ومات مشركا، لكنه كان يتسم بنبل، فقد مزق مطعم بنفسه صحيفة قريش الغاشمة التي بموجبها حُصر المسلمون في شِعب أبي طالب وكان النبي ﷺ حين عاد من الطائف كان المطعم نفسه قد هيأ له الجوار لدخول مكة، وكان النبي ﷺ قد تذكَّر تلك المنة ونطق بهذه الكلمات متأثرا بها، والحق أن من مزايا النبي ﷺ البارزة أنه لم يكن ينسى من أحسن إليه إحسانا يسيرا، وكان ﷺ يتمنى أن تتسنى له الفرص لشكره على منته، ولم يكن كأهل الدنيا الذين حين يحسنون إلى أحد ردًّا على منته يقولون قد رددنا الجميل، بل كان ﷺ يسعى طوال حياته لرد الجميل ويذكره.

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ الْمَخْزُومِيّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَلَفَ مِنْهُ حِينَ غَزَا حُنَيْنًا ثَلَاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا فَلَمَّا قَدِمَ قَضَاهَا إِيَّاهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ إِنَّمَا جَزَاءُ السَّلَفِ الْوَفَاءُ وَالْحَمْدُ". أي يجب الشكر لمن هيأ الدَّين.

قَالَ حضرة عَمْرو بْنُ أَخْطَبَ، اسْتَسْقَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَاءً فَأَتَيْتُهُ بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ فَكَانَتْ فِيهِ شَعَرَةٌ فَأَخَذْتُهَا (وهذا أمر بسيط)، وقدمت القدح للنبي ﷺ فَقَالَ ﷺ: "اللَّهُمَّ جَمِّلْهُ". (أي اجعله يا رب جميلا. فلم يكن يفوّت أي فرصة صغيرة للشكر) قَالَ الراوي فَرَأَيْتُهُ وَهُوَ ابْنُ ثلاث وَتِسْعِينَ لَيْسَ فِي (رأسه) ولِحْيَتِهِ شَعَرَةٌ بَيْضَاءُ.

وعَنْ قَتَادَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسًا قَالَ قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَنَسٌ خَادِمُكَ. قَالَ: "اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ".

ونجد تقبُّل هذا الدعاء حيث قَالَ أَنَسٌ: فَوَاللهِ إِنَّ مَالِي لَكَثِيرٌ، وَإِنَّ وَلَدِي وَوَلَدَ وَلَدِي لَيَتَعَادُّونَ عَلَى نَحْوِ الْمِائَةِ، الْيَوْمَ.

ثم قال ﷺ ناصحا: عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَنْ أُحسِن إليه فَذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ وَإِنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ".

وعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ بِهِ فَمَنْ أَثْنَى بِهِ فَقَدْ شَكَرَهُ وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَه".

هذه هي الأخلاق الأساسية وهي ضرورية جدا لخلق المحبة والتسامح في المجتمع.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَهْدَى لِرَسُولِ اللهِ ﷺ بَكْرَةً[6] فَعَوَّضَهُ مِنْهَا سِتَّ بَكَرَاتٍ.

عَنْ اَبِیْ هریرة: اَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ يَسْأله فَاسْتَلَفَ لَه رَسُوْلُ الله ﷺ نِصْفَ وَسْقٍ (أي ثمانين كيلو غرام تقريبا) فَجَاءَ الرَّجُلُ يَتَقَاضَاه فَاَعْطَاه وَسْقًا وَقَالَ: "نِصْفُه قَضَاءٌ ونِصْفُه نَائِلٌ شكرا".

وعن أبي هند ﷺ قال: قدم تَمِيم بن أوس الداري ﷺ من الشام إلى المدينة يحمل قناديل وزيتًا وفتائل. فلما وصل المدينة صادف ليلة الجمعة. فأمر غلامه فصنع الفتائل، وعلَّق القناديل في المسجد النبوي، وصبَّ فيها الزيت، ووضع الفتائل. فلما غربت الشمس أمر غلامه فأسرجها. فجاء رسول الله ﷺ إلى المسجد فرآه مضيئًا بتلك المصابيح، ففرح فرحًا شديدًا وقال: "من فعل هذا؟". قالوا: يا رسول الله، تميم الداري. فدعا له وقال:

"قد نَوَّرْتَ الْإِسْلَامَ، نَوَّرَك اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ". ثم قال: "لو كانت لي بنتٌ لزَوَّجتُكَها". أي قد أشاد بروعة إضاءته المسجد كثيرا.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطّر قدماه. فقالت له عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، لِمَ تصنع هذا، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال ﷺ: "أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا؟".

وكان النبي ﷺ إذا كثُر لحمه أو بسبب مشقة في القيام بسبب ما كان يصيبه من ألم في رجليه ربما، صلى جالسًا. وكان إذا صلى جالسًا قرأ الفاتحة والسور وهو جالس، فإذا أراد الركوع قام ثم ركع.

ويروي عطاء أنه قال: ذهبت مرة مع ابن عمر وعبيد الله بن عمر إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقلت لها: يا أم المؤمنين، أخبريني بأعجب شيء رأيتِه من رسول الله ﷺ. فبكت عائشة رضي الله عنها من شدة تأثرها بذكر رسول الله ﷺ، وقالت: وهل كان له فعل إلا عجيب؟ ثم قالت:

جاءني رسول الله ﷺ ذات ليلة، فنام معي في فراشي، ثم قال: "يا عائشة، أتأذنين لي الليلة أن أقوم لعبادة ربي؟". فقلت: والله، إني أحب قربك، وأحب ما تحب، ومن جهتي قد أذنت لك. فقام ﷺ، فتوضأ من إداوة[7]، ثم قام يصلي. وبكى في صلاته حتى سالت دموعه على صدره. ثم جلس بعد الصلاة متكئًا على يمينه، ووضع يده اليمنى تحت خده الأيمن، وأخذ يبكي حتى سالت دموعه على الأرض. حتى جاء بلال ﷺ بعد أن أذّن للفجر، فلما رآه على تلك الحال من البكاء والتضرع قال: يا رسول الله، لِمَ تبكي هذا البكاء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال رسول الله ﷺ: "أفلا أكون عبدًا شكورًا؟ وكيف لا أبكي، وقد أنزل الله عليَّ الليلة هذه الآيات؟

---

[6] بكرة : ناقة شابة.

[7] إداوة : إناء صغير من جلد يُتَّخَذُ للماء.

ثم تلا ﷺ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾." ثم قال ﷺ: "ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها".

يقول المصلح الموعود ﷺ، موضحًا هذا الحديث: إن الكلمات العربية: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا» الواردة في الحديث المتعلق بشكر النبي ﷺ، تعني: يا عائشة، هل من شأن الله تعالى وحده أن يكون محسنًا إلى عباده، وليس من شأن العبد أن يؤدي مسؤولياته وواجباته؟ فإذا كان رسول الله ﷺ، على الرغم من جميع التضحيات التي قدمها، وعلى الرغم من وفرة مشاعر الحب التي كان يحملها تجاه الله تعالى، مع ذلك محتاجًا إلى أن يقوم في الليل ويقف بين يدي الله تعالى ساعات طويلة حتى تتورم قدماه، وكان يعبده في النهار أيضًا، ويسعى إلى أن يجعل حياته أكثر فأكثر أهلًا للقرب من الله تعالى، فأي إنسان بعد ذلك يمكنه أن يعتبر نفسه مستغنيًا عن هذه المسؤوليات والواجبات؟

ويقول المسيح الموعود عليه السلام في هذا الصدد أيضًا إن رسول الله ﷺ كان يبكي في صلواته ويقوم فيها إلى حدّ أن قدميه كانتا تتورمان. فعرض عليه الصحابة رضي الله عنهم قائلين: إن الله تعالى قد غفر لك جميع ذنوبك، فما الحاجة إلى كل هذه المشقة وهذا البكاء؟ فقال ﷺ: أفلا أكون عبدًا شكورًا؟

إن هذه الحالة التي كان عليها رسول الله ﷺ تقتضي منا جميعًا أن نكون شاكرين لنعم الله تعالى، وأن نبلغ في شكرنا غايته ونهايته. فالشكر لا يعني أن يتوقف الإنسان عن العمل أو يكتفي بما وصل إليه، بل إن الشكر الحقيقي يقتضي مزيدًا من التقدم في العمل الصالح.

كان رسول الله ﷺ على أعلى مراتب التقوى، ولذلك بلغ أيضًا أعلى مراتب كونه «عبدًا شكورًا». وفي الوقت نفسه أرشدنا ﷺ إلى أن نسعى نحن أيضًا لأن نكون عبادًا شكورين. فإذا أردنا أن نؤدي حق العبودية لله تعالى، فعلينا أن نرفع معايير عبادتنا ونزدَاد شكرًا كلما أنعم الله تعالى علينا بفضله.

فكلما نزلت علينا أفضال الله تعالى، ينبغي أن نزداد في العبادة والشكر، ولا ينبغي أن تؤدي أفضال الله تعالى علينا إلى الكسل أو الفتور، بل ينبغي أن تدفعنا إلى التقدم أكثر فأكثر في العبادة والشكر.

فإذا عملنا بهذه الوصفة، فسوف نواصل، إن شاء الله، اجتياز مراحل التقدم والارتقاء، سواء على المستوى الفردي أم على المستوى الجماعي.

وقد أوضح المصلح الموعود ﷺ هذا الأمر في موضع آخر، فقال:

جاهل من قال:«كَرَم هَاي تُو مَارَا كَرْد گُسْتَاخ»؛ أي: إن ألطافك جعلتنا متجاسرين.

وهذا بيت بالفارسية، يقول فيه الشاعر مخاطبًا الله تعالى: إن كرمك وفضلك هما اللذان جعلاني جريئًا. أي أنه، بدلًا من أن يصبح شاكرًا لله تعالى، أصبح جريئًا ومتجاوزًا للحدود بسبب أفضال الله عليه.

ولكن هذا القول خطأ؛ لأن فضل الله تعالى لا يجعل الإنسان جريئًا ولا متمردًا، بل يجعله أكثر شكرًا وامتثالًا، وأكثر خضوعًا وطاعةً لله تعالى.

فكونوا أكثر شكرًا مما كنتم، فإن الله تعالى يقول: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.

فنسأل الله تعالى أن يجعلنا عباده الشاكرين حقًا، وأن يجعلنا من عباده الحقيقيين، وأن يوفقنا دائمًا لأن نكون أهلًا لأفضاله. آمين.

****